**المحاضرة الثانية عشر**

**مرحلة المؤسسة الاجتماعية**

ينظر بعض علماء الاجتماع الى الاسرة على انها مؤسسة اجتماعية، لأنها تقوم بالوظائف الجوهرية للفرد والمجتمع معاً، فهي تقوم بتحويل الكائن البشري الى انسان مؤنس متطبع بطباع مجتمعه بوساطة التلقين والتنسيب المبنى على اسس التفاعل الاجتماعي الرمزي بين الافراد وبناءاً عليه يقيم معهم شبكة من العلائق الاجتماعية ويحتل مواقع بنائية نسقية متعددة ويمارس ادوارها، حينذاك يصبح انساناً متكيفاً مع المجتمع الذي يعيش فيه بمعنى اوضح، تقوم الاسرة بتلقين وتعليم وتدريب المولود الجديد (الكائن البشري) اسس السلوك الخاص به (كسلوك الولد او البنت) وتعليمه معايير الضوابط الاجتماعية.

هذه المهمة الجسيمة لا تنجز كلها او نصفها في هذه المرحلة العمرية، بل تغرس اولياتها واسسها الجوهرية كالتمييز بين المسموحات والممنوعات من السلوك الاجتماعي.

بتعبير اخر، تقوم الاسرة بحفر اساس الهيكل الاجتماعي في سلوك الكائن البشري لكي تنشئ فيه متطلبات ذلك من اجل ان يصبح احد عناصر مجتمعه. اي يتم التخطيط لتحويله من ادمي الى فرد حامل السمات الاساسية لمقومات البناء الاجتماعي، لكي يتحول فيما بعد الى مرحلة (الشخص) الذي يتمتع بمسؤوليات وواجبات اجتماعية كبيرة داخل مجتمعه.

هذه المسؤولية الاجتماعية تقوم بها كل اسرة بغض النظر عن نوع وحجم المجتمع ودرجة تطوره الحضاري او الثقافي. اي تقوم بها الاسرة في المجتمع البدوي والريفي والحضري والصناعي والمتخلف والمتمدن. فهي بهذه الكيفية مسؤولية ثابتة وواحدة لجميع الاسر في المعمورة في تاريخ البشرية. ويمكن ان نشرح اهم مسؤولية اجتماعية تقوم بها الاسرة في مختلف المجتمعات البشرية الا وهي عملية او مسؤولية التنشئة الاجتماعية. اذ ان الاسرة تقوم بإكساب الفرد الانماط الثقافية السائدة في مجتمعه ومنها انماط القيم، واذا ما اكتسب الفرد قيم جماعته تحقق توافقه الاجتماعي مع الاخرين. كما تقوم بإكساب الفرد نسق المعايير الاخلاقية التي تنظم العلاقات بين الفرد والجماعة وتمثل هذه المعايير السلطة الخارجية على الفرد. كما تقوم بأعداد الفرد لأداء ادواره الاجتماعية دور الابن- دور البنت. مع تعليمه انماط السلوك المرتبطة بأداء الادوار، وان نجاح الفرد في اداء ادواره يعني اداءه لواجباته واكتسابه لحقوقه. وتقوم الاسرة بتغيير الحاجات الفطرية الى حاجات اجتماعية ليصبح الفرد انساناً اجتماعياً يتعلم صفات الجنس الذي ينتمي اليه واخلاقيات المجتمع الذي يعيش فيه ويتقبل المكانة الاجتماعية التي يحددها المجتمع، كما تقوم الاسرة من خلال عملية التفاعل الاجتماعي اكساب الفرد الادوات التي تساعده على الاندماج في الجماعات الاجتماعية واهم هذه الادوات اللغة كأداة رمزية تقوي الروابط بين الجماعات وتمكن من تحصيل المعارف. ان كل ذلك يتم عبر عملية التنشئة الاجتماعية. هذه اهم وظيفة جوهرية تقوم بها الاسرة بوصفها مؤسسة اجتماعية.

ولما كانت الاسرة في نظر بعض علماء الاجتماع تعد احد مؤسسات النسق الاجتماعي داخل هيكل المجتمع فان ذلك يعني انها تملك معايير اجتماعية خاصة بعلائق افراد الاسرة ولها معايير خاصة بنظام تقسيم العمل ولها معايير خاصة بطبيعة ونمط السلطة والضبط فيها كما لها معايير اجتماعية خاصة بأداء واجباتها او تحقيق اهدافها.

اما دور وحيوية هذه المؤسسة داخل هيكل المجتمع، فأنه يعتمد على علاقتها بالنسق السياسي، فاذا كان الاخير حيوي ونشط وذا اسطورة وسيطرة فعالة على مؤسساته وتنظيماته وبذات الوقت يمتلك آليات نافذة ومتماسكة، فان المؤسسة الاسرية يكون دورها ضعيفاً وغير حيوياً. لكن اذا كان النسق السياسي ضعيفاً، فأن المؤسسة الاسرية تبسط سيطرتها على افرادها وتقوم بنشاط حيوي وفعال داخل المجتمع لكي توسع سيطرتها ونفوذها بحثاً عن نفوذ وسلطة اكثر تعويضاً عما فقده النسق السياسي من ضعف في السيطرة على افراد المجتمع.

فاذا قصر او ضعف النسق السياسي في تميز احتياجات المجتمع في تقديم الخدمات الرسمية لأفراد المجتمع فأن الاسرة تقوم بذلك لحاجتها اليها اولا ولكي تكتفي ذاتياً ثانياً ولتمارس سلطة ونفوذ اوسع ثالثاً.

هذه العلاقة المتبادلة والمتباينة في قوتها وترابطها تختلف من فترة زمنية الى اخرى. اي تخضع للظرف الزمني الذي يعيشه المجتمع وهناك فترات زمنية تكون المؤسسة الدينية مالكة دوراً حيوياً وفعالاً داخل المجتمع اكثر من النسق السياسي والمؤسسة الاسرية (كما حصل ذلك في المجتمع الاوربي ابان فترة القرون الوسطى) الامر الذي ادى الى تراجع المؤسسات السياسية والاسرية من القيام بمناشطها امام تفاقم وتوسع مناشط المؤسسة الدينية. اخلص الى القول ان حيوية المؤسسة لا يتوقف على حجمها او اهدافها بل على الفترة الزمنية التي يعيشها المجتمع. اي تخضع لمؤثرات تاريخية بحتة لذلك نرى في بعض الاحيان يكون النسق السياسي انشط وافعل من المؤسسات الاسرية والدينية، واحياناً اخرى نجد الاسرة اقوى وانشط من الدينية او السياسية لكن على الرغم من كل هذا التباين في القوة والنشاط فأن ترابط المؤسسات جميعها يكون قائماً ودائماً لا يخضع للانفصال او التقطع.

عامل او متغير اخر يقوي من حقيقة ان الاسرة مؤسسة اجتماعية الا وهو ادوار اعضاء المؤسسة الاسرية انها غير قابلة للانتقال او التحويل او التبديل او الفصل او الطرد اي لا يمكن لاي انسان اخر ان يمارس نيابة عنهم ادوار (بايولوجية) اذ ان دور الاخ لا يمكن ان يقوم به شخص اخر او دور الاخت لا يمكن ان يشغله غير الاخت البايولوجية، او دور الام لا يجوز ان تمارسه امرأة ثانية، هذا المنع وعدم الجواز تأتي من الرباط العضوي (الدموي) بين الاخ واخيه والاخت واخيها والام وابنائها فضلاً عن ذلك، فأن ممارسة ادوار اعضاء الاسرة تكون تلقائية دون مكافئة او الحصول على اجر كما هو الحاصل في ممارسة دور المعلم في المدرسة او الطبيب في المستشفى. فهي ادوار متأصلة ومتجذرة في بُنية الاسرة. بمعنى ادق تتضمن المؤسسة الاسرية ادوار ثابتة يشغلها افراد لا يمكن استبدالهم بغيرهم من خارج الاسرة ولا يحصلوا على اجر مادي او معنوي لقاء ممارسة ادوارهم الاسرية ومرد ذلك يعود الى الروابط البايولوجية التي تربطهم وليس الى المصالح الذاتية او العامة وازاء هذه الحقيقة باتت المؤسسة الاسرية من اقوى المؤسسات الاجتماعية في انساق الهيكل او البناء الاجتماعي.

ثمة حقيقة اخرى تتضمنها المؤسسة الاسرية وهي تعدد المهام والوظائف، اذ انها تقوم بأنجاب الاطفال وتربيتهم وتعليمهم التعاليم الدينية والطقوس والمراسيم المقدسة، فضلاً عن تدريبهم بالقيام بأعمال منتجة تقوم بصناعتها هي بنفسها وتدفع عن افرادها الاخطار الخارجية وتحرص على ترفيههم في مناسبات معينة. هذه المهام والواجبات كانت اساسية في حياتها الا انها مع تقادم الزمن وتطور الحياة الاجتماعية وظهور المخترعات والابتكارات العلمية والتقنية باتت هذه المهام من واجبات مؤسسات اخرى داخل هيكل المجتمع مثل المؤسسات الدينية والتربوية والصناعية والترفيهية والعسكرية.